﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ٤١﴾ [الإسراء: 41]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

اشتمال القرآن الكريم على أدلّة الإقناع قصدًا للتفنّن ومخاطبة العقل

بعد أن ذكرت الآية السّابقة قبيح فعل المشركين الّذين ادّعوا للّه البنوّة، ولما كان هذا كلّه منَ البيان القرآني في تفنيد دعواهم، صرَّحت هذه الآية: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ بأنَّ اللّه تعالى صرَّف لهم القول، ونوَّع أساليب البيان هنا، وفي سائر المواضع التي أثار فيها هذه الدّعوى، ليراجعوا أنفسهم بالتّدبّر والتّأمل في عاقبة قولهم، فيثوبوا إلى رشدهم، وأنّ نهج البيان القرآنيّ في هذا كاف لهدايتهم، لكن - الواقع - أنه لم يغن عنهم هذا البيان شيئًا، فهذه الآيات البينات والدلائل الواضحات، ولم يزدادوا بعدها إلّا بُعدًا عن الحقّ ونفورًا منه؛ لأنّ مشكلتهم هي مع الحقّ الواضح ذاته، وليست بسبب نقصان البيان عنه، وصدق اللّه: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس: 101].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَرَّفۡنَا﴾: أَصْلُ الصَّرْفِ يدلُّ على القَلْبِ والرَّدِّ، يُقالُ: صَرَفَهُ عنِ الشَّيء، يَصرفه، صرفًا: إذا ردَّه عن وجههِ[1]، والصَّرفُ أيضًا: أَن تَصرِفَ إنسانًا على وجهٍ يُريدهُ إلى مَصْرِف غيرِ ذَلِك[2]، والتَّصْريفُ: تَعَدُّدُ الصَّرْفِ، أو إبداله بغيره، يقال: صَرَفْتُهُ فانْصَرَفَ، وَهوَ النَّقْلُ مِنْ جِهَةٍ إِلَى أُخْرَى، وَمِنْهُ تَصْريفُ الرّياحِ[3]،

(1) ابن سيده، المحكم، والزبيدي، تاج العروس: (صرف).
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللغة: (صرف).
(3) الراغب، المفردات: (صرف).

والتَّصريفُ أيضًا: التَّنْويعُ والتَّفْنينُ، وصَرْفُ الكلامِ: تَزْيينُهُ والزّيادةُ فيه؛ وإنَّما سُمّيَ بذَلِكَ لِأَنَّهُ إذا زُيِّنَ صَرَفَ الأَسماعَ إلى اسْتِماعِهِ[1]، والمرادُ بالتَّصريف في الآية: كِنايَةٌ عَنِ التَّبْيينِ بِمُخْتَلِفِ البَيانِ ومُتَنَوِّعِهِ[2].

2) ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾: أصلُ الذِّكرِ: الحِفْظُ الَّذي تَذْكُرُه، وهو خِلافُ النِّسيان[3]، ثُمَّ حُمِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ باللِّسانِ، فالذِّكْرُ ما ذَكَرْتَهُ بِلِسانِكَ وأَظهرته، والذُّكْرُ - بضَمِّ الذّال - بالقَلْبِ، يُقالُ: ما زالَ مِنّي عَلَى ذُكْرٍ، أَي: لَمْ أَنْسَه[4]، والتَّذكِرَةُ: ما تُسْتَذْكَرُ بِهِ الحاجَةُ، واسْتَذْكَرَ الشَّيءَ: دَرَسَهُ للذِّكْرِ، والاسْتِذْكارُ: الدِّراسَةُ لِلْحِفْظِ، والتَّذَكُّر: تَذَكُّرُ ما أُنسيته[5]، والمقصود بالتَّذَكُّرِ في الآية: حُضورُ الصّورةِ في الذِّهْنِ، وأَصلُهُ يَتَذكَّروا، فَأُدْغِمَ التّاءُ في الدّالِ لِتَقارُبِ مَخرَجَيهما، وهو مِنَ الذُّكْرِ المَضْمومِ الدّالِ الَّذي هوَ ضِدُّ النِّسْيانِ.

3) ﴿نُفُورًا﴾: (نفر): أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على تَجافٍ وتَباعُدٍ[6]، يُقال: نَفَرَ، يَنْفِرُ، نُفورًا ونِفارًا: إذا فَرَّ وذَهَبَ، وانطَلَقَ مُسرِعًا بِقوَّةٍ، والمُنافَرَةُ: المُحاكَمَةُ إلى القاضي بَيْنَ اثْنَيْنِ، ومنه: نَفَرَ النّاسُ إلى العَدوِّ نَفْرًا: إذا أسرَعوا في الخُروجِ لِقِتالِهِ[7]، والنُّفورُ: هُروبُ الوَحْشيِّ والدّابَّةِ بِجَزَعٍ وخَشْيَةٍ مِنَ الأَذَى؛ وذلكَ تَجافيها وتَباعُدها عَنْ مَكانِها ومَقَرِّها، والمرادُ بالنُّفورِ في الآيةِ: الفِرارُ مِنَ الشَّيْءِ، واسْتُعيرَ هُنا لإعراضِهِم تَنزيلًا لَهُم مَنزِلَةَ الدَّوابِّ والأَنعامِ النّافرةِ[8].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أشارَ الحقُّ تعالى في الآية إلى مُعجزته الكُبرى، وهو القُرآن، فقال: ولقد بَيَّنّا ونوَّعْنا وأكثَرْنا في هذا القُرآنِ العِبَرَ والمواعِظَ، والحِكَمَ والأمثالَ، والحُجَجَ والأدِلَّةَ؛

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سِيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (صرف).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 109.
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والمحيط في اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ذكر).
(4) أبو عمرو الشيباني، الجيم، وابن دريد، جمهرة اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ذكر).
(5) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ذكر).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نفر).
(7) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم: (نفر).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نفر)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 110.

ليتَذَكَّروا ويتَّعِظوا، وما يزيدُ الظّالِمينَ هذا التَّصريفُ والتَّذكيرُ بآياتِ القُرآنِ إلّا ذَهابًا وهربًا من الحَقِّ، وتَباعُدًا عن الإيمانِ، وغفلةً عنِ النَّظَرِ والاعتبارِ[1].

في القُرآنِ هَدْيٌ كافٍ ومقنع، ولكِنَّ الضَّالين يَزدادُونَ منه نُفورًا

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

### دلالة الواو في ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾:

غرضُ الفصل بيانُ عدمِ انتفاعهم ببيان القرآن رغم تنوعه وتفنّنه وإقناعه، والواو هنا إمّا أن تكون واو الاستئناف[2]، والجملة بعدها مستأنفة، أو واو الاعتراض[3]، والجملة بعدها معترضة.

التّأكيد على عدم انتفاع الكافرين بالقرآن

### غرض التّعبير بأسلوب القَسَم ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾:

غرض القسم المحذوف المفهوم من اللّام الّذي وطَّأت له في: ﴿وَلَقَدْ﴾، هو تأكيد سوق الأدلّة المتنوّعة الواضحة في القرآن، الكافية في الدّلالة على الحقّ، وعلى فساد دعاويهم، ثمّ تأكيد الإخبار بنفورهم عن هذا الحقّ الأبلج، ومجانبته، وفي هذا ما يدلّ على عنادهم، وسوء طبعهم.

تأكيد مضمون الجملة في السّياق المحكم

### دلالة (قد) في: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾:

التّعبير بـ (قد) في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ دالّ على تحقّق وقوع تصريف القول في القرآن الكريم، وذلك بغية إقناعهم.

بيان أنّ التّحقيق تأكيد لحصول ما نصّ عليه السّياق

### معنى التّصريف ودلالته في سياق الآية:

التّصريف كناية عن التّبيين، لأنّ من حاول بيان شيء، فإنّه يصرف كلامه من نوع إلى نوع آخر، ومن مثال إلى مثال آخر، ليكمل الإيضاح ويقوّي البيان[4].

التّصريف كناية عن التّبيين

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 15/ 50.
(2) الخطيب وآخران، التّفصيل في إعراب التنزيل: 8/ 81.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 109.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 345.

**دلالة التّعبير بالماضي ﴿صَرَّفْنَا﴾:**

تصريف المعاني في الكتاب العزيز، واقع محقّق

دلَّت (قد) على تحقّق وقوع تصريف القول في القرآن لإقناعهم، والتّعبير بصيغة الماضي ﴿صَرَّفْنَا﴾ دالّ على تحقّق الوقوع.

**غرض الإسناد في ﴿صَرَّفْنَا﴾:**

ما أُسند إلى العظيم فهو عظيم

أُسند الفعل (صرَّف) لضمير العظمة (نا) في قوله ﷻ: ﴿صَرَّفْنَا﴾؛ للدّلالة على علوّ مكانة الأدلّة القرآنيّة المتنوّعة، وكفايتها في إيقاع الحجّة والإقناع.

**الغرض من التّعبير باسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾:**

أدلة القرآن الإقناعيّة قريبة من العقل السّليم

في التعبير باسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ الدال على القرب في قوله: ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ ما يدل على قرب أدلة القرآن الحجاجية الإقناعية منَ العقل الناضج الواعي، الطالب للحق، البعيد عن التعصب والجحود، وفيه تعريض بهم؛ إذ لم يهتدوا بأدلة القرآن مع قوّة حجيتها ووضوحها، بأنّهم ليسوا أصحابَ عقولٍ سويّة، وأنّهم أصحاب هوى وغَرَض.

**غرض التّعبير باسم الإشارة وتعريف ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾ باللّام:**

ملامح التّشريف والدّلالة على الحصر

في التّعبير بقوله: ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾، تشريف للقرآن بالإشارة وبالتّعريف، ودلالة على الحصر؛ ففي هذا القرآن وحده الأدلّة الكافية لهم - لو كانوا صادقين - للتّذكُّر والرّجوع عمّا هم فيه من فساد في الرّأي والمعتقد، وفساد في الطّبع والعمل.

**غرض حذف المفعول به من الفعل ﴿صَرَّفْنَا﴾:**

حذف المفعول لإفادة العموم

وفي حذف مفعول ﴿صَرَّفْنَا﴾ قصد لإفادة العموم، والتقدير: (صرفناه) أي: صرفنا القول المشتمل على إبطال الإضافة المذكورة في هذا المعنى[1]، بما يحمله من مواعظ وأمثال وترغيب وترهيب،

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 79.

ونحو ذلك من أفانين القول في القرآن، والمراد بالعموم المعبَّر عنه هنا: أي: عموم الآيات المتعلقة بإبطال[1] هذه الدعاوى، فكل آيات القرآن الحجاجية، التي تحمل أدلته الإقناعية وافية كافية فيما سيقت لأجله.

**دلالة اللّام في الفعل ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾:**

اللّام للتّعليل، ولـهـا أثـر في الدّلالة أصيل

واللام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ لام تعليل؛ أي: صرفنا لهم القول ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ وينتبهوا لما هم فيه من ضلال.

**نكتة التّعبير بالفعل ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ مُدغما:**

التّضعيف يفيد التّكثير والتّكرير

في قوله: ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ بالإدغام والتضعيف في الفعل؛ إذ أصله (يتذكّروا) ما يدل على التكثير في معنى التّذكر، وذلك بتكراره وتجدده، فـ "يتذكروا ويتّعظوا ويطمئنّوا له، فإن التكرار يقتضي الإذعان واطمئنان النفس"[2].

**سرّ تنوع القراءات القرآنية في ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾:**

الـذِّكـرُ مفتاح التَّذكّر

قرأ الجمهور ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ بفتح الذّال والكاف وتشديدهما، والمعنى: ليتذكروا، فأدغمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما، وقرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر ﴿لِيَذْكُرُواْ﴾ ساكنة الذّال مضمومة الكاف، وهو ليس من التذكّر بعد النسيان، بل هو من التدبّر[3]، وأمّا قراءة حمزة والكسّائي وخلف العاشر ففيها وجهان: **الأوّل**: - كما في القراءة الأولى - أنّ الذِّكر قد جاء بمعنى التّأمّل والتّدبّر، كقوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [البقرة: 63]، والمعنى: (وافهموا ما فيه)، **والثّاني**: أن يكون المعنى (صَرّفنا هذه الدلائل في

(1) الشِّهاب الخفاجيُّ، عناية القاضي: 6/ 34.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 79.
(3) الفارسي، الحجة للقراء السبعة: 5/ 104، وابن الجزري، النشر 2/307.

هذا القرآن؛ ليَذْكُروه بألسنتهم)، فإنّ الذّكر باللّسان قد يؤدّي إلى تأثّر القلب بمعناه[1].

### نكتة إسناد الفعل لضمير الغيبة ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾:

أثر الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

في قوله: ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ التفات إلى الغيبة من الخطاب في قوله: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ تطرية للكلام، ولفتًا للمعنيّين به إلى أهمية أن يتدبَّروا ويتّعظوا، وتعجيبًا مِن حالهم لكل من يطلع على تماديهم في فساد المعتقد وفساد العمل بعد ظهور الآيات، وإيذانًا "باقتضاء الحال أن يُعرض عنهم ويحكي للسامعين هناتهم"[2]، وبهذا يكون الذين وُبِّخوا بالخطاب في ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ هم أنفسهم المدعوّون إلى التّذكّر هنا، ويمكن أن يكون غرض الالتفات تحويل جهة الخطاب "من خطاب المشركين إلى خطاب المؤمنين"[3].

### دلالة الواو في جملة: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾:

حال أهل الضّلال عجيبٌ، يبين عن اضطرابهم الرّهيب

"جُمْلَة ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ في مَوْضِعِ الحالِ، وَهوَ حالٌ مَقْصودٌ مِنْهُ التَّعْجيبُ مِنْ حالِ ضَلالَتِهِمْ، إِذْ كانوا يزدادون نُفورًا مِن كلام فصل وبيِّن لِتذكيرِهم، وشأنُ التّفصيلِ أن يُفيد الطُّمأنينة لِلمقصودِ"[4].

### غرض التّعبير بأسلوب القصر:

التّهكّم والسّخريّة من أساليب البيان عن المراد

في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ بأسلوب القصر، استعارة تهكمية، غرضها تقريعهم وتوبيخهم؛ لأن الأصل أن يزيدهم القرآن هداية واستقامة، وقد زادها أسلوب القصر مبالغة في نفي كل إفادة إيجابية من قبلهم، وأن الأمر على عكس هذا، فما ازدادوا بسماع حججه إلا عنادًا وصدودًا.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 345، والواحدي، البسيط: 13/ 341، والفارسي، الحجة للقراء السبعة: 5/ 104.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 79.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 109.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 110.

### سرُّ اصطفاء النّفي والاستثناء طريقا للقصر:

قـوارعُ القـرآن تزيـدُ الكافرين نفورا

مِن شدة نفورهم من القرآن الكريم وصدودهم عن حججه وبيانه، آثر القرآن الكريم في نفي استجابتهم له وإثبات بعدهم عنه أشد أساليب الحصر وأقواها دلالةً عليه، وهو النفي ثم الاستثناء.

### غرض الإتيان بالمفعول به ضمير غيبة (هم):

تأكيد تجاهلهم، بغـايـة إهـمـال شأنهم

عبّر بضمير الغيبة في قوله: ﴿يَزِيدُهُمْ﴾ عن المفعول به، ليتّسق مع قوله: ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ الذي التفت فيه من الخطاب إلى الغيبة، وليتكامل معه في الدلالة على تجاهلهم.

### دلالة التّعبير بالمضارع ﴿يَزِيدُهُمْ﴾:

نفور المشركين في تزايد مستمرّ

دل التّعبير بالمضارع بقوله: ﴿يَزِيدُهُمْ﴾ على تجدد هذه الزيادة؛ على معنى أنه كلما تكرر استماعهم للقرآن وحججه، ازدادوا منه بعدًا ونفورًا.

### غرض التّنكير في لفظ ﴿نُفُورًا﴾:

بيـان التّفظيع والـتّـهـويـل، ومـلـمـح الاسـتـعـارة الـتّـصـريـحـيّـة الأصـلـيّـة في اللّفظ

عبَّر بقوله: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ بتنكير ﴿نُفُورًا﴾ تهويلًا وتفظيعًا؛ فكأنه ليس نفورًا عاديًّا، وإنما هو أشبه بنفور الدواب النافرة من حيوان مفترس يسعى لافتراسها، والمعنى: ما ازدادوا من الحق إلا بُعدًا[1] وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: 124 - 125]. وعلى هذا ففي كلمة ﴿نُفُورًا﴾ استعارة تصريحية أصلية؛ لأن النُّفور: هو هُروبُ الوَحْشيِّ والدّابَّةِ بِجَزَعٍ وَخَشْيَةٍ مِنَ الأَذَى، فاسْتُعِيرَ هُنا لِإعْراضِهِمْ تَنْزِيلًا لَهُمْ مَنْزِلَةَ الدَّوابِّ والأنعام النافرة[2].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 346.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 110.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»